الوجيز في علم الإسناد

بين المجيز والمستجيز

للشيخ / عمرو شيخون

مقرئ القراءات العشر

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الأولى

أولا: فلنتفق من البداية

- ابتسم فالابتسامة صدقة.
- نركّز و نتعاون و نتفاعل لنبلغ الفائدة .
- ضع هاتفك جانبًا صامتًا.
- الأسئلة والنقاش مفتوح في محتوى البرنامج.

مناقشة

- ما معنى الإسناد؟
- ما أهمية علم الإسناد؟
- ما معنى الإجازة؟
- هل هناك فرق بين الإجازة في القرآن وغيره؟
- ما شرط الإجازة؟
- هل تصح الإجازة بقراءة بعض القرآن؟
- ما هي أركان كتابة الإسناد والإجازة؟
- ما معنى تحرير وتحقيق الإسناد؟
- متى بدأت الإجازات القرآنية؟

مقدمة

فإن من نعمة اللّه على خلقه حفظ الدين، وبقاء الشريعة، واتصال علم الأولين بالآخرين، وخير ما تتصل به نصوص الوحيين، وعلوم الشريعة، وأخبار السالفين: الإسناد الذي ينكشف به الوهم ويثبت به اليقين، حتى عُدَّ من خصائص هذه الأمة ومميزات هذا الدين.

وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء).

وقالَ سفيان الثوري: (الإسناد سلاح المؤمن، إذا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سلاح فبأي شيء يقاتل؟).

وروى مسلم في مقدمة صحيحه عن محمد بن سيرينَ أنه قال: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)

وإن الإسناد من خصائص الأمة الإسلامية، كما أن الكُنى من خصائص العربية، وإنّ له فوائد كثيرة في حفظ الدين وسلامته من كل تبديل أو تغيير، وقد اهتم المسلمون بالإسناد منذ عهد الصحابة ﷺ، وجاء بعد الصحابة التابعون ومن بعدهم، وكلهم حرصوا على الإسناد، وعضوا عليه بالنواجذ، وقد وجدنا كثيراً من العلماء الذين كتبوا أسانيدهم المتصلة وأثباتهم المتقنة من كل حديث سمعوه وكل كتاب قرأوه وكل علم تعلموه.

حتى في التفقه كان الإسناد من الأهمية بمكان ، كما قال الإمام النووي ت: ٦٧٦ هـ – فإن سلسلة التفقه لأصحاب الشافعي رحمة اللّه عليه منهم إلى الشافعي رحمه اللّه، ثم إلى رسول ﷺ من المطلوبات المهمات، والنفائس الجليلات، التي ينبغي للمتفقه والفقيه معرفتها، وتقبُحُ به جهالتها، فإن شيوخه في العلم آباء في الدين، وصلة بينه وبين رب العالمين، مستدلًّا بهذه البيانات، أنّ الإسناد أمر مهم في تلقي العلوم الشرعية، والتي على رأسها القرآن الكريم.

علم الإسناد

تعريف الإسناد لغةً واصطلاحًا

أ. تعريف السند والإسناد لغة:

السند في اللغة: يطلق عَلَى عدة معانٍ، أشهرها ما ذهب إليه ابن فارس في مقاييس اللغة: وهو ما قابلك من الجبل، وعلا عن السفح، والمُعْتَمَدُ: هُوَ كلُّ ما يُسْنَدُ إلَيْهِ ويُعتمَدُ عَلَيْهِ من حائطٍ وغيره، يقال: فلانٌ سَنَدٌ أي: مُعتمَدٌ.

قالَ بدر الدين بن جَمَاعَة:

وَهُوَ مأخوذ، إمّا من السند وَهُوَ ما ارتفع وعلا عن سفح الجبل؛ لأن المُسْنِدَ يرفعه إلَى قائله، أوْ من قولهم: فلانٌ سندٌ أي: معتمدٌ، فسُمِّي الإخبار عن طريق المَتن سنداً لاعتماد الحُفَّاظِ في صحة الحَدِيْث وضعفه عَلَيْهِ.

وقالَ الزركشي نحوه.

وفي "أدب الرِّوَايَة" للحفيد:

وهو (حفيد القاضي أبي بكر مُحَمَّد بن عَبْد اللّه بن جعفر) :

والأصل في الحرف راجع إلى المسند وَهُوَ الدهر فيكون معنى إسناد الْحَدِيْث: اتصاله في الرِّوَايَة اتصال أزمنة الدهر بعضها ببعض)

تعريف السند والإسناد اصطلاحاً:

السند: هُوَ الإخبار عن طريق المتن.

وأما الإسناد: هو رفع الحديث إلى قائله.

والذي يبدو أن السند والإسناد معناهما واحد، لأنهما متقاربان في معنى الاعتماد عليهما:

وهو سلسلة الرواة الموصلة إلى المتن.

وَقالَ بدر الدين بن جَمَاعَة:

(الْمُحَدِّثُونَ يستعملون السند والإسناد لشيءٍ واحدٍ)

وقيل: الإسناد أعم من السند؛ فالإسناد يطلق عَلَى سلسلة الرُّوَاة الموصلة إلى الْمَتْن فيكون بِذَلِكَ مرادفاً للسند، ويكون بمعنى عزو الْحَدِيْث إلى قائله فهو أعم.

وقال الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ ه :

أن المُسنَد هو ما اتصل سنده من راويه إلى منتهاه، وأكثر ما يستعمل فيما جاء عن النبي ﷺ دون غيره.

والخلاصة:

أن المراد بالسند أوْ الإسناد هنا: هُوَ سلسلة الرُّوَاة الَّذِيْنَ نقلوا الْحَدِيْث واحدًا عن الآخر، حتَّى يبلغوا بهِ إلى قائله.

السند عند علماء القراءات: هو سلسلة القراء الذين نقلوا القرآن قراءة ، ورواية ، ودراية ، وطريقًا ، ووجهًا عن المصدر الأول.

وإن شئت قلت: هو الطريق الموصلة إلى القرآن.

كما جاء في لطائف الإشارات للقسطلاني.

أهمية الإسناد

إنّ اللّه - سبحانه وتعالى - شرّف هَذِهِ الأمة بشرف الإسناد، وَمَنَّ عَلَيْهَا بسلسلة الإسناد واتصاله، فهو خصيصة فاضلة لهذه الأمة وليس لغيرها من الأمم السابقة، فالعلوم المنقولة كالقرآن والسنة النبوية والتفسير واللغة لا تستغني عنها، وإن كانت الحاجة إليها في نقل القرآن والحديث أقوى وآكد، لما يترتب على صحة السند وضعفه من ثبوت القرآن وصحة المقروء.

وثبوت الشريعة وأحكامها المستنبطة من الأحاديث الواردة في العبادات والمعاملات وقد خص الله تعالى هذه الأمة بالإسناد وليس ذلك لغيرها من الأمم كما سبق، وجاء تأكيد ذلك في الكتاب والسنة وأخبار السلف الصالح وآثارهم، فقد حث الله ورسوله ﷺ على التثبت في الأخبار والتأكد منها ونقلها من مصادرها.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}

وقال تعالى: {مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} ، وقال تعالى: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ}: فدلت الآيات على أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العدل مردودة، والخبر وإن وافق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه فقد يجتمعان في معظم معانيها، ودلت السنة على نفس رواية المنكر من الأخبار كنحو دلالة القرآن على نفس خبر الفاسق، وهو الحديث المشهور عن رسول اللّه ﷺ : «من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»

ذكره مسلم في مقدمة صحيحه

وقال مالك في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} ، قال: هو قول الرجل حدثني أبي عن جدي.

وقال أحمد بن حنبل: طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف.

وقال الشافعي : مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى ولا يدري.

وقال الحاكم النيسابوري: بيننا وبين القوم القوائم.

يعني بالقوائم: الإسناد ، وبالقوم: أهل البدع ومن شاكلهم.

وَقدْ أسند الخَطِيْب في كتاب " شرف أصحاب الحَدِيْث " إلى مُحَمَّد بن حاتم بن المظفر قالَ: إنّ اللّه أكْرَمَ هَذِهِ الأمة وشرّفها وفضّلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها، قديمهم وحديثهم إسنادٌ، وإنما هِيَ صحف في أيديهم، قدْ خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بَيْنَ ما نزل من التوراة والإنجيل مِمَّا جاءهم بهِ أنبياؤهم، وتمييز بَيْنَ ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار الَّتِيْ أخذوا عن غَيْر الثقات.

وهذه الأمة إنما تنُصّ الحَدِيْث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتَّى تتناهى أخبارهم، ثمَّ يبحثون أشد البحث حتَّى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط والأطول مجالسةً لِمَنْ فوقه ممن كَانَ أقل مجالسةً، ثمَّ يكتبون الحَدِيْث من عشرين وجهاً وأكثر حتَّى يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عداً. فهذا من أعظم نعم اللّه تعَالَى علَى هَذِهِ الأمة .

وقالَ أبو علي الجياني: خصّ اللّه تعَالَى هَذِهِ الأمة بثلاثة أشياء لَمْ يعطها مَنْ قبْلَهَا مِنَ الأمم: الإسناد، والأنساب، والإعراب.

وَقَالَ الحَاكِم النيسابوري: فلولا الإسناد وطلب هَذِهِ الطائفة لَهُ، وكثرة مواظبتهم عَلَى حفظه لدرس (مُحيَ) منار الإسْلَام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فِيْهِ بوضع الأحاديث، وقلب الأسانيد، فإنَّ الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فِيْهَا كانت مبترًا، كَمَا حَدَّثنَا أبو العباس مُحَمَّد بن يعقوب، قالَ: حَدَّثنَا العباس بن مُحَمَّد الدوري، قالَ: حَدَّثنَا أبو بكر بن أبي الأسود، قالَ: حَدَّثنَا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني

قالَ: حَدَّثنَا بقية، قالَ حَدَّثنَا عتبة بن أبي حكيم، أنه كَانَ عِنْدَ إسحاق ابن أبي فروة، وعنده الزهري، قالَ: فجعل ابن أبي فروة يقول: قالَ رَسُوْل اللّه ﷺ، فقَالَ لَهُ الزهري: قاتلك اللّه يا ابن أبي فروة، ما أجرأك عَلَى اللّه، ألا تسند حديثك؟ تحَدِّثنا بأحاديث ليس لها خُطم، ولا أزمَّة.

معنى خُطم: من الدابة مقدمة أنفها، والخطم: جمع خطام وَهُوَ الحبل الَّذِيْ يقاد بِهِ البعير.

معنى أزمَّة: زمّ الشيء يزمه زماً فانزم: شده، والزمام ما زم بِهِ، والجمع أزمة، وزممت البعير خطمته.

ماذا يحدث

لو لم يكن عندنا إسناد؟؟؟

- **لولا الإسناد:** لضاع الدين.
- **لولا الإسناد:** لاختلط النقل الصحيح بالضعيف.
- **لولا الإسناد:** لم يفرق بين القراءة المتواترة من غيرها.
- **لولا الإسناد:** لم يعرف من أقرب إلى رسول اللّه ﷺ في سلسلة شيوخه وهو المعروف بالعالي والنازل في الإسناد.
- **لولا الإسناد:** لاستوى قول العالم بمن دونه لعدم معرفة القائل فيقدم العالم على غيره بسبب الإسناد.

قال الشيخ/عبدالبارئ الصومالي – حفظه اللّه - في منظومته الماتعة (الإيجاز في تحفة المجيز والمجاز)

بَابٌ فِي الإِسْنَادِ وَأَهَمِّيَّتِهِ

١١- قِوَامُ دِينِنَا هُوَ الْإِسْنَادُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَظَهَرَ الْفَسَادُ

١٢- وَالرَّبُّ بِالْقُرْآنِ قَد تَكَلَّمَا سَمِعَهُ جِبْرِيلُ[1] ثُمَّ عَلَّمَا

١٣- مُحَمَّداً، فَأَقْرَأَ الْأَصْحَابَا فَانْتَشَرُوا وَنَقَلُوا الْكِتَابَا

١٤- وَهَكَذَا جِيلاً فَجِيلاً نُقِلَا بِسَنَدٍ مُتَّصِلٍ قَدْ سُلْسِلَا

تواتر السند وصحته شرط في قبول القراءة

أجمع المسلمون منذ الصدر الأول على أنه لا يقرأ بحرف ولا يحكم بقرآنيته ولا يكتب في المصاحف حتى يتحقق نقله بالتواتر، ويرويه عدد كبير يحصل بروايتهم اليقين ولذلك لم يثبت الصحابة في المصاحف التي أمر عثمان بكتابتها مستنسخاً لها من صحف أبي بكر إلا ما كان كذلك.

وطرحوا ما أنفرد بروايته الآحاد ولو كان راوية من كان، وكان معتمدهم في ذلك ما ثبت في العرضة الأخيرة، فقد جاء في الصحيحين: «أن رسول اللّه ﷺ كان يدارس جبريل بالقرآن ويعارضه إياه في كل رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين» وبالأخذ والتلقي بالسند نقل صحابة رسول اللّه ﷺ القرآن إلى من بعدهم ومن بعدهم إلى الذين يلونهم وهكذا حتى وصل إلينا منقولاً بالتواتر مسطوراً في الدفاتر تكلؤه عناية الجليل مصاناً عن كل تحريف وتبديل.

وجاءت الأخبار عن رسول اللّه ﷺ تفيد بأن نقل القراءة وأخذها سنة فقد ورد عن ابن مسعود رضي اللّه عنه أنه قال: قال لنا علي بن أبي طالب: «إن رسول اللّه ﷺ يأمركم أن تقرءوا كما علمتم»

(السبعة لابن مجاهد)

وعن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: (القراءة سنة) وفي رواية أخرى عنه قال: (القراءة سنة فاقرءوا كما تجدونه) ، من هنا لم يستبح أحد من السلف لنفسه أن يقرأ إلا بما تلقى وسمع مما نقل إليه متواتراً إلى رسول اللّه ﷺ.

وروى أحمد في مسنده عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال: تسمعونَ ويُسمعُ منكم ويُسمعُ ممن يَسمعُ منك.

قال العلماء: وهذا لا يفيد الحصر بل يفيد الاستمرارية

قال الباقلاني رحمه اللّه تعالى: الظاهر المتواتر المشهور أنهم إنما أخذوا القرآن رواية، لأنهم رحمهم اللّه تعالى يمتنعون من القراءة بما لم يسمعوه .

فالتواتر في السند من أهم أركان القراءة المقبولة المقروء بها والتي تلقتها الأمة وتلت بها في محاريبها وتقربت بها إلى بارئها.

قال الحافظ ابن الجزري في كتابه منجد المقرئين - مبينا ضابط القراءة الصحيحة-: كل قراءة وافقت العربية مطلقا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، وتواتر نقلها هذه القراءة المتواترة المقطوع بها ثم قال: ونعني بالتواتر: ما رواه جماعة عن جماعة كذا إلى منتهاه، يفيد العلم من غير تعيين عدد، هذا هو الصحيح وقيل بالتعيين ... الخ،

وقد ذكر هذا في ألفيته رحمه الله المعروفة بـ(طيبة النشر في القراءات العشر) حيث قال:

فكُلُّ مَا وَافقَ وَجْهَ نَحْوِ

وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

وَصَحَّ إسْنَادًا هُوَ القُرآنُ

فهَذِهِ الثَّلاثةُ الأرْكَانُ

وحَيثُما يَخْتَلَّ رُكْنٌ أثْبتِ

شُذُوذَهُ لَوْ أنَّهُ فِي السَّبعَةِ

وهذا القيد هو ما نحا ببعض القراء إلى التوقف في بعض القراءات الصحيحة لا لشيء إلا لأنها لم تبلغه على وجه التواتر.

قال محمد بن صالح : سمعت رجلا يقول لأبي عمرو بن العلاء كيف تقرأ{لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} قال: (لا يُعَذِّبُ) بالكسر، فقال له الرجل: كيف وقد جاء عن النبي ﷺ (لا يُعَذَّبُ) بالفتح، فقال أبو عمرو: لو سمعت الرجل الذي قال سمعت النبي ﷺ ما أخذته عنه، وتدري ما ذاك؟ لأني أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة.

مع أن قراءة الفتح أيضاً قراءة متواترة قرأها من السبعة الإمام الكسائي، ومعه من العشرة يعقوب الحضرمي، ولكنها لم تبلغه على وجه التواتر لذلك أنكرها.

وقال ابن مجاهد: أخبرنا الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا.

وقال أبو عمرو عن نفسه: واللّه ما قرأت حرفاً إلا بأثر.

قال حمزة يوما للأعمش:

الناس ينكرون عليك حرفين، قال وما هما؟

قال: (الأرحام) و (مصرخي)

أو (مكرَ السيء) و(مصرخي)

قال: ليس للنحويين هذا، قرأت على ابن وثاب على زر على عبد اللّه ابن مسعود على رسول اللّه ﷺ.

فهذه الآثار الواردة عن السلف ونحوها دالة على مدى تمسكهم بالرواية الصحيحة المتواترة المسندة فلا يعدلون عنها إلى غيرها ولو كان أقيس في العربية.

فالقراءة متى ثبتت بطريق التواتر أو السند الصحيح ،لا يردها قياس العربية ، ومتى اختل فيها شرط التواتر أو صحة السند رُدّت ولا يلتفت فيها إلى أي شرط آخر.

على أن ابن الجزري رجع عن القول بالتواتر إلى الاكتفاء بصحة السند وفيه هذا الأمر سجال واسع بين علماء القراءات إلا أنهم اتفقوا إذا لم يصح الإسناد فلا يُعتد بالقراءة.